الإسرائيليات في تفسير البغوي (سورة البقرة من الآية 30- 248)

د. جمعة مسعود زايد
كلية القانون والشريعة بنالوت

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين.

أما بعد: فالقرآن الكريم كتاب الله المبين، هو المصدر الأول للعقيدة السليمة، والشريعة القويمة، والدستور الإلهي الخالد الذي وضعه الله لعباده، وحدد معالم الحق ورسم طريق الخير، وضرب المثل الأعلى في كل شيء، هو الفصل ليس بالهزل لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق مع كثرة الرد، لا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أُجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم.[1]

ولهذا فإن العلماء في كل عصر يبذلون أقصى جهدهم في الكشف عن غوامض أسرار هذا التنزيل وبيان ما أشكل فيه من المعاني، فالقرآن هو البحر الزاخر بشتى أنواع العلوم والمعارف، فيجد فيه كل لبيب حاجته فمن مستنبط لأحكامه الفقهية، إلى باحث عن أسراره البلاغية ووجه إعجازه، وتوضيح معانيه وإعرابها، الى شرح لغامضه وموضح لمشكله، ومن دارس لجوانب العقيدة فيه وكاشف عن بعض حكمه وأسراره وإشاراته وأنواره وإعجازه، الى مهتم بقصص الأولين وأخبار السابقين إلى غير ذلك من الوجوه والاتجاهات.

ومن بين هذه التفاسير تفسير معالم التنزيل للإمام البغوي رحمه الله ومن خلال الاطلاع على آراء العلماء وجدت أن الكثير منهم أو كلهم أثنوا على الإمام البغوي وعلى تفسيره، فهو لا شك كتاب عظيم القدر بالنسبة لبعض كتب التفسير، ويظهر ذلك في أقوال العلماء وثنائهم عليه وعلى تفسيره، ومما يدل على أهمية هذا التفسير أن العلماء والمختصين تلقوا هذا التفسير بالقبول والإعجاب، وكان نصيبه الرواج والانتشار، فاعتمدوا عليه واعتنوا به، وألفوا عليه التفاسير، فكان

[1] حديث أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن (172/5)، والإمام أحمد في مسنده (191/1).

أنألّف الإمام الخازن تفسيره لباب التأويل منتخبا ومختصرا من معالم التنزيل البغوي، ومضيفا ومكملا عليه بعض ما رآه مناسبا.

ومن خلال دراستي التخصصية في التفسير والتي مكنتني من الاطلاع على عدة تفاسير ومن ضمنها تفسير البغوي وما له من أهمية، إلا أن تفسيره حوى الكثير من الروايات الإسرائيلية والمرويات الباطلة والأخبار الواهية، وورد ذلك عن بعض الصحابة والتابعين وتابعيهم، وبعضها ورد مرفوعا إلى النبي (صل الله عليه وسلم) كذبا وزورا وهذا كله لا يمت إلى الإسلام بصلة، وإنما هو من مرويات وخرافات بني اسرائيل وأكاذيبهم وافتراءاتهم على الله وعلى رسله الكرام، رواها مسلمو أهل الكتاب، أو أخذها من كتبهم بعض الصحابة والتابعين أو دست عليهم.

ولما كنت ممن شرّفهم الله تعالى في الإسهام في خدمة كتاب الله وتتمة الفائدة، أردت في هذا البحث التنبيه على هذه الروايات الإسرائيلية حتى لا ينخدع بها القارئ البسيط.

ومن المعلوم أن هذه الروايات الإسرائيلية كانت تصرف الناس عن الغرض الذي أنزل القرآن من أجله، وتلهيهم عن التدبر في آياته والانتفاع بعبرة ومواعظه، والبحث عن حكمه وأحكامه إلى توافه لا خير فيها، وصغائر لا وزن لها. فيا حبذا لو يتم تنقية هذه التفاسير من هذه المرويات.

لذلك ستكون خطتي في البحث كما يلي:

قسمت البحث إلى مطلبين:

المطلب الأول:

أ- نبذة مختصرة عن الشيخ البغوي.

ب- المزايا العلمية لتفسير البغوي.

ج- منهجه في التفسير.

د- الاسرائيليات وموقف العلماء منها.

المطلب الثاني:

أولا: سرد هذه الروايات كما ذكرها الشيخ البغوي في تفسيره.

ثانيا: نقد هذه الروايات.

المطلب الأول: التعريف بالإمام البغوي

الشيخ البغوي هو: العلامة الشيخ أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي، الفقيه الشافعي، المحدث، المفسر، يعرف بأبي الفراء، ويلقب بمحيي السنة وركن الدولة، وكان تقيا، ورعا، زاهدا متقشفا، قانعا، لا يلقي الدروس إلا على طهارة، وإذا أكل لا يأكل إلا الخبز وحده، ثم صار يأتدم بالزيت، وله المؤلفات المفيدة، منها: "شرح السنة"، وكتاب "المصابيح" في الحديث، وتفسيره هذا، وغيرها، وكانت وفاته سنة عشر وخمسمائة، وقيل سنة ست عشرة وخمسمائة".

مزايا تفسير البغوي وقيمته العلمية:

ويمكن أن نجعل مزايا تفسير البغوي وقيمته العلمية فيما يلي:

1- يعد تفسير الإمام البغوي من التفاسير المبكرة المتقدمة لأن صاحبه عاش في القرن الخامس الهجري، ومن أوائل كتب التفسير المتوسطة التي أفادت السابقين وخاصة في المأثور من التفسير.

2- جاء تفسير البغوي جامعا شاملا لجوانب متعددة واتجاهات مختلفة مما يجعله مفيدا لأعداد كبيرة من القراء والمهتمين بفهم كتاب الله وتدبره، فقد وجدناه قد حرص على المأثور من كتاب الله وسنة الرسول (صل الله عليه وسلم) وأقوال الصحابة والتابعين، وعُني باللغة والنحو والقراءات، وذكر آراء أهل السنة والسلف في قضايا العقيدة والأحكام الفقهية.

3- اعتمد الإمام البغوي في تفسيره على أصلين مهمين، وهما الكتاب والسنة.

4- اختصر الإمام البغوي الأسانيد التي تروى بها أقوال الصحابة- رضي الله عنهم- وآراء التابعين وتفاسير من تبعهم من المفسرين، واكتفى بذكرها في مقدمة تفسيره، وهذا أمر حسن لأن هذا يسّر كثيرا على قارئ التفسير.

5- استخدامه لأسلوب السؤال في حل الاشكاليات، وهو أسلوب حسن لتحقيق الفهم وإيضاح المسائل.

منهجه في التفسير:

عرض الامام البغوي لتفسير آيات كتاب الله، وشرح معانيه بأسلوب سهل واضح، لا لبس فيه ولا غموض، ولا صعوبة ولا توعر في لغته التي استخدمها في تفسيره للقرآن الكريم، وهكذا لا نجد المتكلف في لغته وأسلوبه، كما جنب تفسيره الاصطلاحات العلمية والمناقشات والمحاجات المنطقية

العالية التي ترد في بعض كتب التفسير حين تثار قضايا العقيدة وبعض المسائل الشرعية خاصة لدى العلماء والمفسرين الذين تغلب على لغتهم الأساليب والاصطلاحات الفنية المختصة بعلومهم.

ويلاحظ على تفسيره الابتعاد عن ذكر التفاصيل والاسترسال في المسائل الفرعية، وبعده عن الحشو والتكرار والتطويل.

وطريقة تفسيره التي اتبعها تأتي في ذكر اسم السورة وعدد آياتها وبيان مكيها ومدنيها، وقد يفصل فيذكر الآيات المكية في السورة المدنية والعكس بذكر الآيات المدنية في السورة المكية إن كان فيها ذلك، ثم يسوق أسباب النزول إن كانت السورة قد نزلت في مناسبة معينة... وقد يعرض خلال التفسير لأسباب نزول الآيات الخاصة فيها.

ثم يشرع في توضيح معاني الآيات بلغة واضحة فصيحة واقفا على الألفاظ والكلمات الصعبة التي تحتاج إلى الكشف عن معناها اللغوي بالرجوع إلى اصلها ومصدرها ثم يبين معناها في هذا السياق بالاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ويسوق كذلك آراء السلف الصالح في معنى تلك الكلمة، وما آثر من تفسير الصحابة والتابعين لها.

ويورد في تفسيره كذلك وجوه الإعراب لبعض الآيات، وما يترتب عليه من معنى ويذكر القراءات الأخرى المأثورة لبعض الآيات.

وهو في آيات العقيدة والتوحيد يتناولها موضحا رأي أهل السنة والجماعة ويدحض ويرفض آراء الفرق الأخرى، وينكر البدع والخرافات في هذا المجال. كما أنه في آيات الأحكام الفقهية يورد آراء الفقهاء المختلفة بإيجاز واختصار فيذكر رأي الإمام الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما.

وللبغوي منهج متميز في التفسير، يعتمد على عناصر أساسية وهي: اعتماده على المأثور من الكتاب والسنة النبوية وأقوال الصحابة والتابعين مع عنايته بالقراءات واللغة والنحو بإيجاز يحقق فهم الآيات، وذكره لمسائل العقيدة والأحكام الفقهية بطريقة مختصرة.

الإسرائيليات وموقف العلماء منها

أخبار بني إسرائيل، وأقاويلهم على ثلاثة أقسام:

" **القسم الأول:** ما علمنا صحته مما بأيدينا من القرآن الكريم والسنة، والقرآن هو:

الكتاب المهيمن، والشاهد على الكتب السماوية قبله، فما وافقه فهو: حق وصدق، وما خالفه فهو: باطل وكذب، قال تعالى: "وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما ءاتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وأنِ احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك".[1]

وهذا القسم صحيح، وفيما عندنا غنية عنه، ولكن يجوز ذكره وروايته للاستشهاد به، ولإقامة الحجة عليهم من كتبهم، وذلك مثل: ما ذكر في صاحب موسى عليه السلام، وأنه الخضر، فقد ورد في الحديث الصحيح، ومثل: ما يتعلق بالبشارة بالنبي (صل الله عليه وسلم) وبرسالته، وأن التوحيد هو دين جميع الأنبياء مما غفلوا عن تحريفه، أو حرفوه، ولكن بقى شعاع منه يدل على الحق.

وفي هذا القسم ورد قوله (صل الله عليه وسلم): "بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"[2]

قال الحافظ في الفتح: أي: لا ضيق عليكم في الحديث عنهم، لأنه كان تقدم منه (صل الله عليه وسلم) الزجر عن الأخذ عنهم، والنظر في كتبهم، ثم حصل التوسع في ذلك، وكان النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية، والقواعد الدينية، خشية الفتنة، ثم لما زال المخدور وقع الإذن في ذلك، لما في سماع الأخبار التي كانت في زمنهم من الاعتبار.

"**والقسم الثاني:** ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه، وذلك مثل: ما ذكروه في قصص الأنبياء، من أخبار تطعن في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كقصة يوسف، وداود، وسليمان،

---

[1] سورة المائدة، آية (48، 49).

[2] صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء- باب ما ذكر عن بني اسرائيل.

ومثل ما ذكروه في توراتهم: من أن الذبيح إسحاق، لا اسماعيل، فهذا لا تجوز روايته وذكره إلا مقترنا ببيان كذبه، وأنه مما حرفوه وبدلوه، قال تعالى: "**يحرفون الكلم من بعد مواضعه**".[1]

وفي هذا القسم: ورد النهي عن النبي (صل الله عليه وسلم) للصحابة عن روايته، والزجر عن أخذه عنهم، وسؤالهم عنه، قال الإمام مالك رحمه الله في حديث:" حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج": المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن: أمّا ما علم كذبه فلا.[2]

ولعل هذا هو المراد من قول ابن عباس:" يا معشر المسلمين: كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيه (صل الله عليه وسلم) أحدث[3]تقرءونه لم يُشَبْ[4]، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله، وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل عليكم"[5]

" **القسم الثالث**: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا، ولا من ذاك، فلا نؤمن به، ولا نكذبه، لاحتمال أن يكون حقا فنكذبه، أو باطلا فنصدقه، ويجوز حكايته لما تقدم من الإذن في الرواية عنهم، ولعل هذا القسم هو المراد بما رواه أبو هرير، قال:" كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله (صل الله عليه وسلم):" لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله، وما أنزل إلينا، وما أنزل إليكم"[6] الآية، ومع هذا: فالأولى عدم ذكره، وألاّ نضيع الوقت في الاشتغال به.[7]

---

[1] سورة المائدة، آية (41).

[2] فتح البارئ (388/6).

[3] أحدث: آخر الكتب السماوية نزولا من عند الله.

[4] لم يخلط بغيره قط، لأنه محفوظ من التبديل والزيادة.

[5] صحيح البخاري – كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة– باب قول النبي (صل الله عليه وسلم):" لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء".

[6] صحيح البخاري، كتاب التفسير – سورة البقرة، باب:" قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا" الآية، و الآية التي أشار إليها في سورة العنكبوت: 46.

[7] انظر: أبو شهبة، الاسرائيليات والموضوعات (ص 103-105).

موقف العلماء من الاسرائيليات:

اختلفت مواقف العلماء ولا سيما المفسرون من هذه الاسرائيليات على ثلاثة أنحاء:

أ- فمنهم من أكثر منها مقرونة بأسانيدها، ورأى أنه بذكر أسانيدها خرج من عهدتها، مثل ابن جرير الطبري.

ب – ومنهم من أكثر منها وجرّدها من الأسانيد غالبا فكان حاطب ليل، مثل البغوي.

ج- ومنهم من ذكر كثيرا منها ويعقب البعض ممّا ذكره بالتضعيف أو الانكار مثل ابن كثير.

د- ومنهم من بالغ في ردّها ولم يذكر منها شيئا يجعله تفسيرا للقرآن كمحمد رشيد رضا.[1]

المطلب الثاني : سرد الروايات الاسرائيلية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ البغوي عند تفسيره[2] لقوله تعالى:" **وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة...**" إلى قوله تعالى" **وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه...**"[3]

قال **الشيخ**[4] رحمه الله: المرادبالخليفة[5] هنا آدم عليه السلام، فهو خليفة الله تعالى في أرضه لإقامة أحكامه وتنفيذ قضاياه، وكانت القصة في ذلك فيما حكى **الشيخ** رحمه الله تعالى: أن الله تعالى خلق السماء والأرض، وخلق الملائكة والجن، فأسكن الملائكة السماء، وأسكن الجن الأرض، فعبدوا الله تعالى دهراً[6] طويلاً في الأرض، ثم ظهر فيهم الحسد والبغي، فأفسدوا واقتتلوا، فبعث الله إليهم جنداً من الملائكة يقال لهم: الجن، وهم خُزان الجنان اشتق لهم اسم من الجنة وعلى رأسهم إبليس وكان رئيسهم ومرشدهم وأكثرهم علماً، فهبطوا إلى الأرض "وطردوا الجن إلى شعب الجبال وجزائر البحار، وسكنوا الأرض وأعطى الله إبليس ملك السماء وملك الأرض وخزائن الجنة

---

[1] شرح مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية (ص ج 29).

[2] تفسير معالم التنزيل للبغوي (1/30-34).

[3] سورة البقرة، آية (30-34).

(4) انظر معالم التنزيل (1/31) وما بعدها.

(5) الخليفة: من يقوم مقام الذاهب ويسد مسده. انظر لسان العرب (5/134).

(6) الدهر: الزمان الطويل ومدة الحياة الدنيا، وأيضاً: يقع على بعض الدهر. انظر لسان العرب بتصرف (5/314).

وكان يعبد الله تارة في الأرض وتارة في السماء وتارة في الجنة، فدخله العجب فقال في نفسه: ما أعطاني الله هذا الملك إلا لأني أكرم الملائكة عليه، فقال الله تعالى له ولجنده: "**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**"، يعني: بدلاً منكم ورافعكم إليَّ، فلما قال ذلك، قالت الملائكة: أتجعل فيها من يفسد فيها بالمعاصي ويسفك[1] الدماء بغير حق كما فعل بنو الجان، قال الله تعالى: "**إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**"، يعني: من المصلحة فيه، قال **ابن عباس**[2]: وكان جسد آدم ملقى بين مكة والطائف لا روح فيه فمر عليه إبليس فقال: لأمر ما خلق هذا، ثم دخل في فيه وخرج من دبره، وقال إن خلق لا يتماسك لأنه أجوف[3]، ثم قال للملائكة الذين معه: أرأيتم إن فضل هذا عليكم وأمرتم بطاعته (ماذا تصنعون) قالوا: نطيع أمر ربنا. فقال إبليس في نفسه: والله لئن سلطت على هذا لأهلكنه، ولئن سلط عليَّ لأعصينه[4]. قال الله تعالى: "**وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَوَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ**"، يعني الملائكة من الطاعة وإبليس من المعصية، فلما نفخ الله تعالى الروح في آدم علمه أسماء كل شيء حتى القصعة[5] والقصبة[6] والمغرفة[7] واسم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة[8]، وذلك قوله تعالى: "**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا**"، وسمي آدم لأنه خلق من آديم الأرض، ثم إن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم[9] فقال الله تعالى: "**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىوَاسْتَكْبَرَ**"، يعني: امتنع فلم يسجد وتكبر عن السجود لآدم وأظهر ما كان في (باطنه)، يعني قوله للملائكة إن سلط عليَّ هذا لأهلكنه، قال أكثر المفسرين: كان في سابق علم الله تعالى أن إبليس من الكافرين الذين أوجبت لهم الشقاوة والعياذ بالله[10]. قال الله تعالى: "**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَوَزَوْجُكَ الجَنَّةَ**"،

---

(1) السفك: صب الدم، وصبه، وهراقه. انظر لسان العرب (201/7) بتصرف.

(2) لم أعثر عليه في تفسيره (على ابن أبي طلحه)، ذكره الطبري في تفسيره (271/1)، وتفسير الثعلبي (101/1).

(3) رواه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب باب خلق الإنسان خلقاً لا يتمالك برقم (31، 32) (164/16). يرحم الله ابن كثير فقد طعن في سند هذه الرواية وضعفها فقال: "هذا سياق غريب وفيها أشياء فيها نظر يطول مناقشتها، (112/1، 113).

(4) ذكره الطبري في تفسيره (270/269/1)، والدرر المنثور للسيوطي (45/1).

(5) القصعة: الضخمة تشبع العشرة، والجمع قصاع وقصع. لسان العرب (122/12).

(6) القصبة: خصلة من الشعر تلتوي، والقصبة: البئر الحديثة الحفر. انظر لسان العرب (112/12).

(7) المغرفة: ما غرف به. انظر لسان العرب (37/11).

(8) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (279/1) وما بعدها، وزاد المسير (62/1)، تفسير الطبري (284/1).

(9) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (62/1)، والدر المنثور (49/1)، وتاريخ الطبري عن سعيد ابن جبير (91/1).

(10) تفسير الثعلبي (103/1).

فصار فيها وحشياً لم يجد من يجانسه ويؤانسه، فنام نومة (فخلق) الله تعالى زوجته حواء عليها السلام من قصى ضلع شقه الأيسر من غير أن يحس بها ولا وجد لها ألماً، ولو وجد لها ألماً لما عطف رجل على امرأة، فلما هب يعني انتبه رأى حواء جالسة عند رأسه كأحسن ما خلق الله تعالى، فقال لها من أنت؟ قالت زوجتك خلقني الله لك تسكن إليَّ وأسكن إليك[1]، ثم قال الله تعالى: "**وكلا منها**"، يعني: من الجنة،"**رغدا**"يعني واسعاً كثيراً، "**حيث شئتما**"، يعني: كيف شئتما، "**ولا تقربا هذه الشجرة**"، كلام لأكثر المفسرين: أن هذا النهي عن شجرة مخصوصة قيل هي السنبلة يعني البر، وقيل التين، وقيل العنب[2]، "**فتكونا من الظالمين**"، يعني العاصين الذين وضعوا أمر الله في غير موضعه، فلما دخل آدم الجنة ورأى ما فيها من النعيم، قال في نفسه: لو أن أخلد، فاغتنم الشيطان ذلك، وكان سبب إتيان الشيطان له من قِبَل الخلد، قال الله تعالى: "**فأزلهما الشيطان**"، يعني: نحاهما وأبعدهما وأخرجهما مما كانا فيه من النعيم، وذلك أن إبليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء، فمنعه الخزنة من ذلك؛ فأتى إلى الحية، وكانت (صديقة له) وهي من أحسن الدواب لها أربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة، فسألها إبليس أن تدخله في (فمها) فأدخلته في فيها، ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون، فأدخلته الجنة، فلما دخل وقف بين يدي آدم وحواء وهما لا يعلمان أنه إبليس، فبكى وناح[3] نياحة أحزنتهما وكان هو أول من ناح فقالا له: وما يبكيك؟ فقال لهما: أبكي عليكما ستموتان وتفارقان ما أنتما فيه من النعمة، فوقع ذلك في أنفسهما فاغتمَّا[4] لذلك، فمضى إبليس عنهما وقد حصل في قلوبهما ما حصل ثم أتاهما بعد ذلك فقال: يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد؟ فأبى أن يقبل منه فقاسمهما بالله يعني: حلف لهما إني ناصح فصدقاه، وما ظنا أن أحداً يحلف بالله كاذباً فاغترا، وبادرت حواء إلى أكل الشجرة وناولت آدم حتى أكلها، فلما أكلا فتت[5] عنهما ثيابهما وبدت لهما سوءاتهما وأخرجا من الجنة، فذلك قوله تعالى:

---

(1) انظر تاريخ الطبري (103/1، 104).

(2) ذكره الطبري في تفسيره (301/1، 302)، وتفسير ابن كثير (117/1، 118)، وزاد المسير لابن الجوزي (66/1)، وتاريخ الطبري (97/1). لا يتوقف على معرفة اسم الشجرة أية فائدة،= =ولو أراد الله ذلك لأطلعنا عليه، فعلينا ألاّ نكلف أنفسنا ولا نشغلها في البحث عن تعيينها. قال الآلوسي: "والأولى عدم القطع والتعيين، كما أن الله تعالى لم يعينها باسمها في الآية، ولا أرى ثمرة في تعيين هذه الشجرة". الآلوسي، روح المعاني (215/1).

(3) النوح: النساء يجتمعن للحزن. انظر لسان العرب (378/14).

(4) الغمة: الكرب. لسان العرب لابن منظور (88/11).

(5) فتت: أي كسر وتقطع وسقط عنهما. انظر لسان العرب لابن منظور (119/11) بتصرف.

"**وقلنا اهبطوا**"، انزلوا إلى الأرض يعني: آدم وحواء، وإبليس والحية، فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند على جبل يقال له نوذ[1]، وحواء بجدة[2]، وإبليس بالأبلَّة[3]، والحية بأصفهان[4]. قال **ابن عباس:** فبكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة، ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً.[5]

نقد هذه الروايات[6]:

هذه الرواية فيها كثير من الاسرائيليات من أن إبليس من الملائكة، وفي ذلك يقول الحسن البصري: لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين وإنه لأصل الجن، كما أن آدم أصل البشر بالإضافة إلى الحرب المزعومة على الأرض، وهذه الروايات تخالف صريح القرآن تماما.

كذلك روايته في كيفية دخول ابليس إلى الجنة عن طريق دخوله في فم الحية فأدخلته ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون، وكذلك شكل الحية أن لها أربع قوائم إلى آخر ما ذكره البغوي.

أغلب كتب الرأي ذكرت هذه القصة، وكل هذا من قصص بني اسرائيل الذي تزيدوا فيه وخلطوا حقا بباطل...ووسوسة ابليس لآدم عليه السلام لا تتوقف على دخوله في بطن الحية، إذ الوسوسة

---

(1) نوذ: بالفتح ثم السكون وذال ومعجمة: جبل بسرنديب عنده مهبط آدم عليه السلام، وهو أخصب جبل في الأرض. انظر معجم البلدان (358/5).

(2) جدة: بالضم والتشديد: بلد على ساحل بحر اليمن، وهي فرضة مكة، بينها وبين مكة ثلاث ليال عن الزمخشري، وقال الحازمي: بينهما يوم وليلة. انظر معجم البلدان (133/2).

(3) أبلة: بالفتح، مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام، وقال أبو زيد: أبلة مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير، وهي مدينة لليهود الذين حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمسخوا قردة، وخنازير. انظر: معجم البلدان (347/1).

(4) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (68/1)، الدر المنثور (56/1). وأصفهان هي أصبهان. وهي مدينة عظيمة كبيرة صحيحة الهواء نفيسة الجو خالية من جميع الهوام، وأرضها حرة صلبة، وكانت مدينة أصبهان بالموضع المعروف بجن وهو الآن يعرف بشهرستان، وبالمدينة. انظر معجم البلدان (244/1) وما بعدها. وقد علق ابن كثير على تلك الأماكن التي أهبطوا إليها فقال: "وقد ذكر المفسرون الأماكن التي هبط فيها كل منهم، ويرجع حاصل تلك الأخبار إلى ألإسرائيليات والله أعلم بصحتها، ولو كان في تعيين تلك البقاع فائدة تعود على المكلفين في أمر دينهم أو دنياهم لذكرها الله تعالى في كتابه أو رسوله صلى الله عليه وسلم". انظر ابن كثير في تفسيره (119/1).

(5)لم أقف عليه في تفسيره، وذكره الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان (106/1)، وتفسير البحر المحيط (319/1).

(6) ذكر ايضا هذه الروايات الطبري في تفسيره (270/1-223)، وابن كثير في تفسيره (112/1)، ومحمد بن اسحاق في تفسيره، (ص 18-21) وتفسير الدر المنثور للسيوطي (1/ 44،45).

لا تحتاج إلى قرب ومشافهة، وقد يوسوس إليه وهو على بعد أميال منه، والحية خلقها الله يوم خلقها على هذا ولم تكن لها قوائم ولا شيء من هذا.[1]

وعند تفسيره لقوله تعالى:" **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت**" [2]

فقد ذكر البغوي قصة اليهود وعدوانهم في السبت وذلك أنهم كانوا زمن داوود عليه السلام بأرض يقال لها أيلة، حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت، فكان إذا دخل السبت لم يبق حوت في البحر إلا اجتمع هناك حتى يخرجن خراطيمهن من الماء لأمنها، حتى لا يرى الماء من كثرتها، فإذا مضى يوم السبت تفرقن ولزمن قعر البحر فلا يرى شيء منها، ثم إن الشيطان وسوس إليهم وقال: إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت خاصة فوقع ذلك في قلوبهم، فعمد رجال فحفروا حياضا حول البحر وشرعوا منه إليها الأنهار، فإذا كان عشية الجمعة فتحوا تلك الأنهار فأقبل الموج بالحيتان إلى الحياض فلا يقدرون على الخروج لبعد عمقها وقلة مائها، فإذا كان يوم الأحد أخذوها، فعلوا ذلك زمانا ولم ينزل الله عليهم عقوبة فتجرؤوا على الذنب، وقالوا: ما نرى السبت إلا قد أحلّ لنا فأخذوا وأكلوا وملحوا وباعوا وآثروا وكثر مالهم، فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية وكانوا قدر سبعين ألفا، ثلاثة أصناف: صنف أمسك ونهى، وصنف أمسك ولم ينه، وصنف انتهك الحرمة، وكان الناهون اثنى عشر ألفا، فلما أبى المجرمون قبول نصحهم، قالوا: والله لا نساكنكم في قرية واحدة، فقسموا القرية بجدار، وأقام كل واحد على حاله مدة سنين، فلعنهم داوود وغضب الله عليهم لإصرارهم على المعصية، فخرج الناهون ذات يوم من بابهم، ولم يخرج من المجرمين أحد ولم يفتحوا بابهم، فلما أبطؤوا تسوروا عليهم الحائط فإذا بهم جميعا قردة لهم أذناب يتعاوون.[3]

نقد هذه الروايات:

هذه الآيات تناولت الحديث عن بني اسرائيل من جوانب متعددة، وقد ذكر فيها البغوي كثيرا من الإسرائيليات التي تتعلق بهؤلاء القوم، وربما تكررت هذه الاسرائيليات حيثما ورد ذكرهم في القرآن وهو كثير، وليس في القرآن ما يدل على هذا الذي ذكر من إحصاء لعددهم ومكان معسكرهم، وشكل هجرهم وما إلى ذلك. ولذا قال العلامة ابن خلدون: وكثيرا ما وقع المؤرخين والمفسرين وأئمة

---

[1] انظر الكتاب المقدس، سفر التكوين، الاصحاح الثالث لتزداد يقينا أنه من الإسرائيليات، وليس منه شيء عن المعصوم صل الله عليه وسلم، وانظر: الإسرائيليات والموضوعات لأبي شهبة (ص 175).

[2] سورة البقرة، آية (65).

[3] تفسير معالم التنزيل للبغوي، (47،48/1).

النقل من المغالطات في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو ثمينا، ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها، ولا سيروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار، فظلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط سيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر اذا عرضت في الحكايات، إذ هي مظنة الكذب ولابد من ردها إلى الأصول وعرضها على القواعد.[1]

وحكى الشيخ البغوي[2] عند تفسيره لقوله تعالى" **إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا**"[3]

وكانت القصة في ذلك: أنه كان في بني إسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير ولا وارث له سواه، قال **الشيخ** رحمه الله تعالى: فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله إلى قرية أخرى فألقاها بفنائها، ثم أصبح يطلب ثأره، فجاء بناس إلى موسى عليه السلام ليدعى عليهم القتل، فسألهم موسى فجحدوا فاشتبه أمر القتيل على موسى، قال **الكلبي:** وذلك قبل نزول القسامة في التوراة، والقسامة اليمين، فسألوا موسى أن يدعوا الله أن يبين لهم بدعائه أمر القتيل، فأمرهم بذبح بقرة، وذلك معنى قوله تعالى: "**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً**" أي: تستهزئ بنا، نحن نسألك عن أمر القتيل وتأمرنا بذبح البقرة، وإنما قالوا ذلك لبعد ما بين الأمرين في الظاهر ولم يدروا ما في ذلك من حكمة."**قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ**"يعني: لأن الجواب لا على وفق السؤال جهل، فلما قال ذلك علموا أن ذبح البقرة عزم من الله عز وجل فاستوصفوه، ولو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم، ولكن شددوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم، وكان تحت ذلك حكمة من الله عز وجل، وذلك أنه كان في بني إسرائيل رجل له ابن طفل صغير وله عِجْلَةأتى بها إلى غيضة، وقال: اللهم إني استودعتك هذه العجلة لإبني حتى يكبر، ثم مات الرجل وصارت العجلة في الغيضة أعواماً، وكانت تهرب من كل من رآها، فلما كبر الابن وكان باراً بوالدته غاية البر، وكان يقسم الليلة ثلاثة أثلاث، يصلي ثلثاً وينام ثلثاً ويجلس عند رأس أمه ثلثاً، فإذا أصبح انطلق واحتطب على ظهره فيأتي به إلى السوق، فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل ثلثه الباقي ويعطي والدته ثلثه، فقالت له والدته يوماً: إن أباك قد ورثك عجلة استودعها الله في غيضة

---

[1] انظر مقدمة ابن خلدون (7،9)، وراجع الإسرائيليات في التفسير والحديث للذهبي (265، 266).

[2] تفسير البغوي (1/77-78-79)، وتفسير الطبري (1/414، 415)، وابن كثير في تفسيره (1/159، 160)، وتفسير السدي (119- 121)، وتفسير ابن عطية المحرر الوجيز، (1/164).

[3] سورة البقرة آية (67).

كذا، فانطلق وادع الله إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق أن يردها عليك، وعلامتها أنك إذا نظرت إليها يخيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها، وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها، فأتى الفتى إلى الغيضة فرآها ترعى فصاح عليها وقال: أعزم عليك بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه، فقبض على عنقها يقودها، فتكلمت بإذن الله فقالت: أيها الفتى البار بوالدته اركبني فإن ذلك أهون عليك، فقال: إن أمي لم تأمرني بذلك، فقالت البقرة: بإله بني إسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر عليّ أبداً، فانطلق فإنك لو أمرت الجبل أن ينقطع من أصله وينطلق معك لانطلق لبرك بأمك، فسار الفتى بها إلى أمه، فقالت له: إنك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة، قال: بكم أبيعها؟ قالت بثلاثة دنانير، ولا تبع بغير مشورتي، وكان ثمن البقرة في ذلك الوقت ثلاثة دنانير، فانطلق بها إلى السوق، فأمر الله ملكاً ليرى الخلق قدرته، ويختبر الفتى كيف بره بوالدته، وكان الله به خبيراً، فقال له الملك: بكم تبيع هذه البقرة؟ قال: بثلاثة دنانير واشترط عليك رضا أمي ، فقال الملك: لك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك، فقال: لو أعطيتني وزنها ذهباً لم تأخذها إلا برضا أمي، فردها إلى أمه وأخبرها بالثمن، فقالت: ارجع وبعها بستة دنانير على رضا مني، فانطلق بها إلى السوق، فأتى الملك فقال: استأمرت أمك؟ قال نعم، وأمرتني ألا أنقصها من الستة دنانير على أن استأمرها، فقال: أنا أعطيك أثني عشر ديناً على ألا تستأمرها، فأبى ورجع إلى أمه فأخبرها بذالك، فقالت: إن الذي يأتيك ملك يستخبرك، فإذا أتاك فقل له: أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟ ففعل، فقال له الملك: اذهب إلى أمك وقل لها أمسكي هذه البقرة فإن موسى بن عمران يشتريها منكم لقتيل يقتل من بني إسرائيل، فلا تبيعوها إلا بملء مسكها دنانير ذهب، يعني ملء جلدها، فأمسكوها هو وأمه حتى قدر الله على بني إسرائيل ذبح تلك البقرة، فمازالوا يستوصفون حتى وصفت لهم تلك البقرة، فعل الله ذلك للفتى مكافأة له على بره بوالدته فضلاً من الله ورحمة.

نقد هذه الروايات:

فهذه القصة وما دار فيها من أحداث من عثورهم على البقرة عند الفتى البار بأمه، وقيل غير ذلك أنهم وجدوها عند عجوز لها يتامى، فلا علاقة لنا بالقيل والزعم فهما بأس المطية ولا يقين يقوم عليهما وهي مما يجوز نقلها ولكن لا تصدق ولا تكذب، فلهذا لا يعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا والله أعلم.

وقال الشيخ عند تفسيره لقوله تعالى:" **واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان" وقوله تعالى:" وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت"**[1]

حيث حكى أن الملائكة رأوا ما يصعد من أعمال بني آدم الخبيثة إلى السماء في زمن ادريس عليه السلام فعيروهم وقالوا: أهؤلاء الذين جعلتم في الأرض واخترتهم؟ فقال الله لو أنزلتكم إلى الأرض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لارتكبتم ما ارتكبوا، فقالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك، قال الله تعالى: فاختاروا ملكين من خياركم أهبطهم إلى الأرض، فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم، فركب الله فيهما الشهوة وأهبطهما إلى الأرض، وأمرهما أن يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر، فتبتا على ذلك وكان يقضيان بين الناس يومهما، فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم وصعدا إلى السماء، وذات يوم اختصم إليهما الزهرة وكانت من أجمل النساء، فلما نظرا إليها أخذت بقلوبهما فراوداها عن نفسها فأبت وانصرفت، ولما عادت في اليوم الثاني قالا لها نفس الكلام فقالت لهما: إلا أن تعبدا ما أعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر، فقالا: لا سبيل إلى هذه الأشياء فإن الله قد نهانا عنها، ولما عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من الخمر وفي أنفسهما من الميل إليها ما فيها فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت به الأمس، فقالا لها: الصلاة لغير الله عظيم، وقتل النفس عظيم، وأهون الثلاثة شرب الخمر فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمرأة فزنيا، فلما فرغا رآهما إنسان فقتلاه وسجدا للصنم، فمسخ الله الزهرة كوكبا. فلمّا همّا بالصعود إلى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا ادريس النبي عليه السلام وأخبراه بأمرهما وطلبا منه الشفاعة إلى الله تعالى، فشفع لهما ادريس إلى الله تعالى، فتخيرهما الله سبحانه وتعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا إذ علما أنه ينقطع فهما ببابل يعذبان...وغيرها من الروايات.[2]

نقد هذه الروايات:

قال ابن كثير في تفسيره 199/1، أقرب ما في هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر، عن كعب الأحبار لا عن النبي صل الله عليه وسلم، وقال في البداية والنهاية (84/1) هذا من أخبار اسرائيل ويكون من خرافاتهم التي لا يعول عليها، والله أعلم، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة

---

[1] سورة البقرة آية (102).

[2] معالم التنزيل للبغوي (63،64،65/1)، وذكرهما الطبري في تفسيره (526/1-527) وابن كثير في تفسيره (205/1، 206) والدر المنشور للسيوطي (97/1)، والسدي في تفسيره (ص 126،127)، وتفسير ابن اسحاق (ص 34).

(170) باطل مدفوعا. والملائكة معصومون عن مثل هذه الكبائر التي لا تصدر إلا من عربيد وقد أخبر الله عنهم أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وقال القرطبي:" هذا كله ضعيف ولا يصح منه شيء فإنه قول تدفعه الأصول في الملائكة الذين هم أمناء الله وسفراؤه إلى رسله.[1]

قال الشيخ البغوي عند تفسيره [2] لقوله تعالى:" **ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت**"[3]

قال **الشيخ** رحمه الله تعالى: قال أكثر أهل التفسير: كانت قرية يقال لها: داوردان قِبَل واسط وقع بها الطاعون، فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة، فهلك أكثر من بقى في القرية، وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين، فقال الذين بقوا: أصحابنا كانوا أحزم منا، لو صنعنا كما صنعوا لبقينا، ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن إلى أرض لا وباء بها، فوقع الطاعون من قابل؛ فهرب عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا وادياً أفيح، فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه أن موتوا فماتوا جميعاً، فما أتى عليهم ثمانية أيام حتى انتفخوا وأروحت أجسادهم فخرج إليهم الناس فعجزوا عن دفنهم، فحظروا عليهم حظيرة دون السباع. واختلفوا في مبلغ عددهم، فقال **السدي:** بضعة وثلاثون ألف[4]، وقال **ابن جريج:** أربعون ألفاً[5]، وقال **عطاء بن أبي رباح:** سبعون ألفاً[6][7].

نقد هذه الروايات:

---

[1] انظر الإسرائيليات لأبي شهبة، (161/159)، والبداية والنهاية لابن كثير، (84/1)، وتفسير ابن كثير (135/1).

[2] تفسير معالم التنزيل للبغوي (166/1، 167)، وذكر ذلك الطبري في تفسيره (661/2)، وابن كثير في تفسيره (432/1، 433)، والسدي في تفسيره (ص 156)، وابن اسحاق في تفسيره (ص 38، 39).

[3] سورة البقرة، آية (243).

(4) تفسير السدي الكبير، ص156.

(5) ذكره البغوي في تفسيره (166/1، 167)، والطبري في تفسيره (661/2)، والثعلبي في تفسيره (391/1).

(6) لم أقف عليه في تفسيره، وذكره الثعلبي في تفسيره (391/1).

(7) قال البغوي: وأولى الأقاويل قول من قال: كانوا زيادة على عشر آلاف، لأنه الله تعالى قال: "وهم ألوف"، والألوف جمع الكثير وجمعه القليل آلاف، والألوف لا يقال ما دون عشرة آلاف. معالم التنزيل (167/1)، والطبري (664/2).

أما عن أقوال المفسرين في عدد الفارين من الطاعون فلسنا في حاجة إلى معرفة هذا العدد، ولكن من الواجب علينا أن نؤمن بأن جماعة من الناس خرجوا من ديارهم حذر الموت.

قال الشيخ البغوي عند تفسيره [1] لقوله تعالى:" **وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل**"

قال الرواة: إن الله تعالى خلق البيت قبل الأرض بألفي عام، فكانت ربوة بيضاء على الماء فدحيت الأرض تحتها، فلما أهبط الله تعالى آدم إلى الأرض استوحش واشتكى إلى الله فأنزل الله تعالى البيت المعمور من ياقوته من يواقيت الجنة له بابان من زمرد أخضر باب شرقي وباب غربي، فوضعه على موضع البيت، وقال: يا آدم إني أهبطت لك بيتاً تطوف به كما يطاف حول العرش، وتصلي عنده كما يصلى عند عرشي، وأنزل الحجر وكان أبيض فأسود من لمس الحُيَّض من الجاهلية، وتوجه آدم من أرض الهند إلى مكة ماشياً، وقيض الله تعالى له ملكاً يدله على البيت، فحج البيت وأقام المناسك، فلما فرغ تلقته الملائكة، وقالوا: بر حجك يا آدم، لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام[2]. قال **ابن عباس:** حج آدم من الهند إلى مكة أربعين حجة ماشياً على قدميهوكان على ذلك إلى أيام الطوفان يعني الكعبة، ثم دفعه الله تعالى إلى السماء الرابعة ويدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه، وبعث الله جبريل حتى خبأ الحجر الأسود في جبل أبي قبيس[3] صيانة له من الغرق وكان موضع البيت خالياً إلى زمن إبراهيم عليه السلام، ثم إن الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام بعد ما ولد له إسماعيل وإسحاق ببناء بيت يذكر فيه، فسأل الله عز وجل أن يبين له موضعه، فبعث الله تعالى السكينة لتدله على موضع البيت، والسكينة ها هنا ريح خجوج[4] لها رأسان تشبه الحية، وأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة، فتبعها إبراهيم عليه السلام حتى أتيا مكة، فتطوقت[5] السكينة على موضع البيت كتطوق الحجفة[6]، وهذا قولي **علي والحسن**[7]، وقال **ابن عباس** رضي الله عنهما: بعث الله سحابة على قدر الكعبة فجعلت

---

[1] تفسير البغوي (76/1).

(2) انظر تفسير الثعلبي (191/1).

(3) جبل المشـرف على مكة وجهه إلى قيقعان ومكة بينهما أبو قبيس من شـرقيها وقيقعان غربيها، وهو أحد الأخشـبين. انظر معجم ما استعجم (1040/3)، ومعجم البلدان (103/1).

(4) خجوج: الريح الشديدة المرِّ في غير استواء. انظر لسان العرب (23/5).

(5) كل شيء استدار فهو طوق. انظر: مختار الصحاح (424)، لسان العرب (161/9).

(6) ضرب من الترسة، وهي من الجلود وخاصة من الإبل مقورة. انظر: مختار الصحاح (140)، ولسان العرب (44/4) بتصحيح.

(7) انظر الكشف والبيان (192/1).

تسير وإبراهيم يمشي في ظلها إلى أن وافت مكة ووقفت على موضع البيت، فنودي منها إبراهيم عليه السلام أن ابني على ظلها لا تزيد ولا تنقص. وقيل: أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام ليدله على موضع البيت، وذلك قوله تعالى: "**وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ**"، فبنى إبراهيم وإسماعيل، فكان إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجر، فذلك قوله تعالى: "**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِوَإِسْمَاعِيلُ**"، يعني أسس القواعد، واحدتها: قاعدة. قال **ابن عباس**: إنما بني البيت من خمسة أجبل طور سيناء، وطور زيتا ولبنان وهي جبال بالشام، والجودي وهو جبل بالجزيرة[1] ويبنى قواعده من حيراء وهو جبل بمكة، فلما انتهى إلى موضع الحجر الأسود، قال لإسماعيل: ائتني بحجر حسن يكون للناس علما، فأتاه بحجر، فقال له: ايتني بأحسن من هذا، فمضى إسماعيل يطلبه، فصاح أبو قبيس يا إبراهيم إنا لك عندي وديعة فخذها، فأخذ الحجر الأسود فوضعه مكانه[2].

نقد هذه الروايات:

هذه الروايات حول متى وكيف تم بناء البيت، وما ذكر من السكينة و أوصافها هنا، ليس في القرآن ما يدل على شيء من ذلك، ولا فيما صح عن النبي صل الله عليه وسلم، وإنما هذه من أخبار بني إسرائيل التي نقلها إلينا مسلمة أهل الكتاب وحملها عنهم بعض الصحابة والتابعين ومرجعها إلى وهب بن منبه وكعب الأحبار وأمثالهما.[3] وقد قال د/ محمد أبو شهبة في نقده لهذه الروايات: إنهم كحاطب ليل لا يميزون بين الغث والسمين، والمقبول والمردود في بناء البيت، ومن بناه قبل إبراهيم: أهم الملائكة أم آدم؟ والحجر الأسود: ومن أين جاء؟ وما ورد في فضله، وهذا معظمه من الإسرائيليات.[4]

(1) ذكره الطبري في تفسيره عن عطاء، وعبد الله بن عمر (633/1-634)، وابن كثير في تفسيره عن ابن جريج عن عطاء وسعيد بن المسيب (252/1)، وقال ابن كثير هذا غريب، وهو مما لا يصدق ولا يكذب ولا يعتمد عليها بمجردها.

(2) هذا القول للكلبي وأبو عبيدة، انظر تفسير الثعلبي (192/1).

[3] انظر تاريخ الطبري (251/1).

[4] انظر: الإسرائيليات والموضوعات لأبو شهبة (168).

حكى الشيخ البغوي[1] عند تفسيره لقوله تعالى:" **ألم تر إلى بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا**"[2]

قال **الشيخ** رحمه الله تعالى: الملأ من القوم: وجوههم وأشرافهم، وكان سبب مسألتهم إياه ذلك فيما قاله، **وهب، وابن إسحاق والكلبي**، وغيرهم: أنه لما مات موسى عليه السلام خلف بعده في بني إسرائيل يوشع ثم لما مات يوشع خلف فيهم كالب ثم لما مات فيهم كالب خلف فيهم حزقيل حتى قبضه الله تعالى، ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الأوثان، فبعث الله تعالى إليهم إلياس فدعاهم إلى الله[3]، ثم خلف بعد إلياس إليسع ثم قبضه الله تعالى، وخلفت فيهم الخلوف وعظمت الخطايا، وظهر لهم عدو يقال له البلشات، وهم قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين، وهم عمالقة قهروا بني إسرائيل وغلبوا على كثير من أرضهم وسبوا كثير من ذراريهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعين وأربعمائة غلام، وأضربوا عليهم الجزية وأخذوا ثوراتهم، ولقى بنو إسرائيل منهم بلاء وشدة، ولم يكن لهم نبي يدبر أمرهم، وكان سبط النبوة قد هلكوا فلم يبقى منهم إلا امرأة حبلى، فحبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني إسرائيل في ولدها، وجعلت المرأة تدعوا الله تعالى أن يرزقها غلاماً فولدت غلاماً وسمته شمويل، فلما كبر الغلام أسلمته إلى معلم، فعلمه التوراة في بيت المقدس، وكفله شيخ من علمائهم، فلما بلغ الغلام أتاه جبريل عليه السلام وهو نائم إلى جنب الشيخ فدعاه بلحن الشيخ، يعني بصوت مثل صوته، فقام الغلام فزعاً وقال: يا أبتاه دعوتني، فقال: يا بني ارجع فنم فرجع فنام، فدعاه جبريل الثانية فقال الغلام: دعوتني، فقال: ارجع فنم، فإن دعوتك الثالثة فلا تجبني، فلما كانت الليلة الثالثة ظهر له جبريل فقال له: اذهب إلى قومك فبلغهم رسالة ربك، فإن الله قد بعثك نبياً، فلما أتاهم كذبوه وقالوا له: استعجلت بالنبوة ولم تأتك، فإن كنت صادقاً فابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله آية من نبوتك، فقال: إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً وذلك أن شمويل سأل الله أن يبعث لهم ملكاً، فأتى بعصا وقرن فيه دهن القدس وقال: إن صاحبكم الذي يكون ملكاً يكون طوله طول هذه العصا، وانظر إلى القرن الذي فيه الدهن، فإذا دخل عليك رجل فنش الدهن

---

[1] تفسير البغوي (169/1).

[2] سورة البقرة، آية (246).

(3) انظر هذه الأقوال الثلاثة في الكشف والبيان الثعلبي (396/1)، والقرطبي في تفسيره (670/2).

الذي في القرن فهو ملك بني إسرائيل، فادهن به رأسه وملكه عليهم[1]، قال **السدي:** وكان طالوت رجلاً سقاء يسقي على حمار له من النيل، فضل حماره فخرج في طلبه[2]، وقال **وهب:** بل ظلت حمر لأبي طالوت فأرسله وغلاماً له في طلبها، فمر ببيت شمويل النبي، فقال الغلام لطالوت: لو دخلنا على هذا النبي فسألناه عن أمر الحمر ليرشدنا ويدعو لنا، فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له شأن الحمر إذ نش الدهن في القرن، فقام شمويل وقاس طالوت بالعصا فكان على طوله فقال لطالوت: قرب رأسك فقربه ودهنه بدهن القدس، ثم قال له: أنت ملك بني إسرائيل الذي أمر الله تعالى أن أملكك عليهم. قال طالوت: أو ما علمت أن سبطي أدنى أسباط بني إسرائيل وبيتي أدنى بيوت بني إسرائيل؟ فقال: بلى، فقال: فبأي آية؟ فقال: بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك حمره، فكان كذلك، ثم قال لبني إسرائيل: إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً، قالوا أنى؟ يعني: من أين يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه؟ يعني: أولى، وإنما قالوا ذلك، لأنه كان في بني إسرائيل سبطان، سبط نبوة وسبط مملكة، فكان سبط النبوة لأوي بن يعقوب، ومنه كان موسى وهارون، وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب[3]، ومنه كان داوود وسليمان، ولم يكن طالوت من أحدهما، وإنما كان من سبط بنيامين بن يعقوب، وكانوا عملوا ذنباً عظيماً، كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق نهاراً فغضب الله عليهم، ونزع الملك والنبوة عنهم كانوا يسمون سبط الإثم ، فلما قال لهم نبيهم ذلك، أنكروا لأنه لم يكن من سبط الملك، ومع ذلك قالوا: هو فقير ولم يؤت سعة من المال.

نقد هذه الروايات:

روايات وأخبار لا فائدة منها في تحديد اسم النبي الذي سأله الملأ من بني إسرائيل أن يبعث لهم ملكا ليقاتلوا في سبيل الله، وسبب هذا السؤال وبعدد أسماء الأنبياء الذين خلفوا موسى عليه السلام، وذكر قصة غريبة حديث لشمويلنبي بني اسرائيل في صغره وليس في ذلك دليل يثبته، ولا في ذلك خبر صحيح عن المصطفى (صل الله عليه وسلم)حتى نثق بما قيل، فنحن في غنية عن هذه التزيدات وكلها من أخبار بني إسرائيل التي لا تفيدنا بشيء.[4]

(1) انظر: جامع البيان (672/2، 673)، والجامع لأحكام القرآن (1051/2، 1055)، وتفسير القرآن العظيم (436/1)، والدر المنثور (315/1)، وروح المعاني (451/1، 454)، وتاريخ الطبري (242/1، 243).

(2) انظر تفسير السدي الكبير (157)، وذكره الطبري في التفسير (672/2)، وفي التاريخ للطبري (467/1)، والسيوطي في الدر المنثور (315/1).

(3) أخرجه الطبري في تفسيره (676/2)، وزاد المسير (293/1)، وتاريخ الطبري (467/1، 268).

(4) انظر تفسير البغوي (169/1- 170- 171).

وذكر الشيخ البغوي[1] عند تفسيره لقوله تعالى:" **وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت**"[2]

قال **الشيخ** رحمه الله تعالى: وذلك أن الله تعالى أنزل تابوتاً على آدم فيه صورة الأنبياء، وكان من عود الشمشاذ نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين، وكان عند آدم إلى أن مات، ثم عند شيث، ثم توارثه أولاد آدم إلى أن بلغ إبراهيم، ثم كان عند إسماعيل لأنه أكبر ولده، ثم عند يعقوب، ثم كان في بني إسرائيل إلى أن وصل موسى فكان موسى يضع فيه التوراة ومتاعاً من متاعه، فكان عنده إلى أن مات، ثم تداوله أنبياء بني إسرائيل إلى وقت شمويل، وكان فيه ما ذكر الله تعالى فيه سكينة من ربكم. واختلفوا في السكينة ما هي، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ريح خجوج هفافة لها رأسان ووجه كوجه الإنسان الخجوج الشديدة الهفافة البراق[3]، وعن **مجاهد:** شيء يشبه الهرة لها رأس كرأس الهرة، وذنب كذنب الهرة، وله جناحان، وقيل: له عينان لهما شعاع، وجناحان من زمرد وزبرجد، وكانوا إذا سمعوا صوته تيقنوا بالنصر، وكانوا إذا خرجوا وضعوا التابوت قدامهم، وإذا سار ساروا وإذا وقف وقفوا[4]، وعن **ابن عباس** رضي الله عنهما قال: هو طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الأنبياء[5]، وعن **وهب بن منبه** قال: هو روح من الله يتكلم إذا اختلفوا في شيء يخبرهم ببيان ما يريدون، وقال **عطاء ابن أبي رباح:** هو ما يعرفون من الآيات فيسكنونإليه[6]، وقال **قتادة والكلبي:** السكينة فعيلة من السكون يعني طمأنينة من ربكم[7]، ففي أي مكان كان التابوت اطمأنوا وسكنوا إليه "**وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون**"، يعني موسى وهارون نفسيهما، كان فيه لوح من التوراة ورضاض الألواح التي تكسرت، وكان فيه عصا موسى ونعلاه، وعمامة هارون[8]، وقفير من المن الذي كان ينزل على بني إسرائيل، وكان التابوت عند

---

[1] انظر تفسير البغوي: (171،172/1) وذكرها الطبري في تفسيره (681/1- 686) وابن كثير في تفسيره (437،438/1) وتاريخ الطبري (469/1-470).

[2] سورة البقرة، آية (248).

(3) ذكره الطبري في تفسيره (685/2، 686)، وابن كثير في تفسيره (437/1)، وزاد المسير (294/1).

(4) تفسير مجاهد (242)، وذكره الطبري في تفسيره (686/2)، وابن كثير في تفسيره (437/1).

(5) انظر هذه الأقوال في جامع البيان (687/2)، وابن كثير (437/1)، وتفسير الثعلبي (401/1).

(6) انظر تفسير القرطبي (1057/2)، وتفسير ابن كثير (437/1)، والطبري في تفسيره (687/2).

(7) هذه الأقوال انظر تفسير الطبري (687/2)، والدر للسيوطي (317/1) نقلاً عن عبد الرزاق، وابن كثير بسند عبد الرزاق (437/1)، والمحرر الوجيز لابن عطية (333/1).

(8) كل هذا مذكور في تفسير القرطبي (1057/2)، وتفسير ابن كثير في تفسيره (437/1)، وتاريخ الطبري (242/2).

بني إسرائيل، وكانوا إذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم، وإذا حضر القتال قدموه بين أيديهم يستفتحون به على عدوهم[1]، فلما عصوا وفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت. وكان السبب في ذلك أنه كان لعَيْلَى العالم الذي ربى شمويل ابنان شابان وكان عيلى حبرهم وصاحب قربانهم، فأحدثا أبناءه في القربان شيئاً لم يكن فيه، وذلك أنه مشوط القربان الذي يشوطونه به كلابين فما أخرجا كان للكاهن الذي يشوطه، فجعل إبناه كلاليب. وكان النساء يصلين في القدس فيتشبثان بهن، فأوحى الله تعالى إلى شمويل انطلق إلى عيلى فقل له: منعك حب الولد من أن تزجر ابنيك أن يحدثا في قرباني وقدسي وأن يعصياني فلأنزعن منك الكهانة ومن ولدك ولأهلكنك وإياهما. فأخبر شمويلعيلى بذاك ففزع فزعاً شديداً، فسار إليهم عدو ممَّن حولهم فأمر ابنيه أن يخرجا بالناس فيقاتلان ذلك العدو، فخرجا وأخرجا معهم التابوت، فلما تهيؤوا للقتال جعل عيلى يتوقع الخبر وماذا صنعوا، فجاءه رجل وهو قاعد على كرسي، فقال: إنَّ النَّاس قد انهزموا وإن ابنيك قد قُتِلا، قال: فما فعل التابوت؟ قال ذهب به العدو، فشهق ووقع على قفاه من كرسيه ومات[2]، فخرج أمر بني إسرائيل وتفرقوا إلى أن بعث الله طالوت ملكاً يسألوه البينة، فقال لهم نبيهم: إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت[3].

نقد هذه الروايات:

الحق أن ما ذكره البغوي ليس في القرآن ما يدل على شيء من ذلك ولا فيما صح عن النبي صل الله عليه وسلم وانما هذه من أخبار بني إسرائيل التي نقلها إلينا مسلمة أهل الكتاب، وحملها عنهم بعض الصحابة والتابعين ومرجعها إلى وهب بن منبه، وكعب الأحبار وأمثالهما. والصحيح: أن المراد بالسكينة طمأنينة القلوب وثبات النفوس كما قال عطاء بن رباح، ويعجبني في هذا ما قاله الإمام أبو محمد عبد الحق بن عطية حيث قال: والصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك وتأنس به وتقوى، والذي نقطع به ويجب الإيمان به: أنه كان في بني اسرائيل تابوت- أي صندوق- من غير بحث في حقيقته وهيئته، ومن أين جاء، إذ ليس في ذلك خبر صحيح عن المعصوم، وأنه عاد إلى بني اسرائيل تحمله

(1) هذه أقوال متقاربة، ولا يرد بعضـــها بعضـــا، وهي محتملة، والله أعلم بالصـــواب منها، وهي من الأخبار التي تحتمل الصدق والكذب، فلا نصدقها ولا نكذبها.

(2) ذكره الطبري في تفسيره (681/2، 682)، وتاريخه (469/1، 470).

(3) القصة فيها كثير من الأشياء التي نتوقف عندها، وهي لا تزيد في إيماننا شيئاً والله أعلم.

الملائكة من غير بحث في الطريقة التي حملته بها الملائكة، وبذلك كان التابوت آية دالة على صدق طالوت في كونه ملكا عليهم، وما وراء ذلك من الأخبار لم يقم عليها دليل.[1]

الخاتمة

هذا البحث جزء من بحوث أخرى متتالية إن شاء الله والذي أرجو أن ينفع الله بهم المسلمين وأن يبصرهم بحقيقة كتاب ربهم، ويوقفهم على الدخيل الذي دخل كتب التفسير وكان جناية على الإسلام والتفسير.

لقد بذلت جهدي في التنبيه على الإسرائيليات والمرويات الباطلة التي رواها الشيخ البغوي في تفسيره، وذلك بالاستعانة بالكتب التي تناولت هذه الإسرائيليات ومن بينها : كتاب الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للشيخ محمد أبو شهبه، وتفسير ابن كثير وتفسير السيد قطب، ولكن أحب أن أؤكد أن هؤلاء المفسرين مهما كانت عليهم مؤاخذات، ففضلهم عظيم وخيرهم كثير ونفعهم عميم.

وما جعلنا نكتب في هذا الموضوع هو ذب الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته من طعون بسبب هذه الإسرائيليات والموضوعات.

المصادر والمراجع

(1) القرآن الكريم.

(2) الإسرائيليات في التفسير والحديث، محمد حسين الذهبي، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، 1391 هـ/ 1971 م.

(3) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، للشيخ الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة، ط 2، القاهرة، مكتبة السنة، 1426 هـ/ 2006 م.

(1)- انظر: الاسرائيليات لأبو شهبة ص (167).

(4) تفسير ابن جريح، رسالة ماجستير، جمع ودراسة وتحقيق: علي حسن عبد الغني إسماعيل، كلية الآداب، اللغة العربية، جامعة القاهرة 1410 هـ/ 1989 م.

(5) تفسير ابن عباس المسمى " صحيفة علي بن أبي طلحة" عن ابن عباس، حققه: راشد عبد المنعم الرجال، مؤسسة الكتاب الثقافية.

(6) تفسير البغوي، معالم التنزيل بالمأثور، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية 1424هـ/ 2004 م.

(7) تفسير الحسن البصري، جمع وتوثيق ودراسة، د. محمد عبد الرحيم محمد، القاهرة دار الحديث 1992م.

(8) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن، صححه: عبد السلام محمد علي شاهين، ط 1 بيروت، دار الكتب العلمية 1425 هـ/ 2004م.

(9) تفسير الطبري، جامع البيان تأويل أي القرآن، لابن جعفر بن جرير الطبري، تحقيق: هاني الحاج وعماد زكي البارودي، وخيري سعيد، طبعة المكتبة التوفيقية، مصر، القاهرة.

(10) تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، ط1، بيروت، دار ومكتبة الهلال، طبع ومراجعة مكتب الدراسات والبحوث العربية الإسلامية بإشراف الشيخ: ابراهيم محمد رمضان، 1410 هـ/ 1990 م.

(11) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الريان للتراث، طبعة خاصة بتصريح من دار الشعب، القاهرة.

(12) تفسير سعيد بن جبير، رسالة ماجستير، جمع وتحقيق ودراسة: ابراهيم محمد عوض النجار، جامعة القاهرة، كلية الآداب، 1396 هـ/ 1976 م.

(13) تفسير قتادة، رسالة ماجستير، جمع وتحقيق ودراسة: عبد الله أبو السعود بدر، كلية الآداب، 1397هـ/ 1977 م.

(14) تفسير كعب الاحبار، رسالة دكتوراه، جمع ودراسة: محمد عنيان حبلصى، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم الشريعة، 2010/ 2011 م.

(15) تفسير مجاهد، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، ط 1، القاهرة، دار الفكر الاسلامي، 1410 هـ/ 1989 م.

(16) تفسير محمد بن اسحاق، جمع وترتيب: محمد عبد الله أبو صعليك، ط 1، بيروت، مؤسسة الرسالة 1417 هـ/ 1996 م.

(17) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، طبع بمطبعة الاعتماد، الكاظمية، العراق، والمطبعة الإسلامية بطهران.

(18) تفسير زاد المسير في علم التفسير، للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن الجوزي، ط 1، دمشق.

(19) في ظلال القرآن الكريم، سيد قطب، ط 6.

(20) الكشف والبيان في تفسير القرآن المعروف بتفسير الثعلبي، للإمام أبي اسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية 1425 هـ/ 2004 م.

(21) تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تحقيق: محمد بن أبو الفضل ابراهيم، ط 3، دار المعارف.

(22) سيرة ابن اسحاق، كتاب المبتدأ والمغازي، محمد بن اسحاق بن يسار، تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب.

(23) صحيح مسلم بشرح النووي، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1411 هـ/ 1990 م.

(24) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العقلاني، جمع واعداد وترتيب خالد عبد الفتاح شبل أبو سليمان، ط 1، 1410 هـ/ 1989 م.

(25) سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سودة، تحقيق: الشيخ ابراهيم عطوة عوضي، القاهرة، دار الحديث.

(26) لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكر الأفريقي، بيروت: دار بيروت ودار صادر، 1388 هـ/ 1968 م.

(27) معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، بيروت، دار صادر، 1986 م.